# فكاهات

## الكولونيل جيرار[1]

— ١١ —

اشتهر مورات بين فرسان فرنسا ولكنهُ كان لا يستطيع الثبات على سرج جوادهِ واشتهر مثلهُ لاسال ولكنهُ أضاع شهرتهُ بين اللهو والكأس اما انا اتيان جيرار فكنت في سرج جوادي كقطعةٍ من الفولاذ مغروزة فيهِ وكنت لا أميل الى الشرب الا بعد موقعة أو عند لقيا رفيق قديم . وكانت هذه الصفات ولا شك تؤهلني لان اكون أعظم فارس في جيش الامبراطور وكنت اكون رقيت أعلى درجات الفخر لو ساعدني الحظ بأن ارافق الامبراطور في معاركهِ الاولى فان جميع كبار القواد ما خلا افراداً منهم حصلوا على الترقي قبل الفتح المصري ومع ذلك فقد نلت بهمتي قيادة فرقتي وحصلت على وسام الشرف الخاص الذي سلمهُ اليَّ الامبراطور نفسهُ والذي احفظهُ في الحقيبة الجلدية . ومع انني لم أرقَ درجات أعلى فلا يوجد من لا يعرف من هو جيرار من جميع الذين خدموا في الجيش معي حتى نفس الانكليز وخصوصاً الذين أسروني في اسبانيا كما اخبرتكم سابقاً . فانهم كانوا لا يجهلون مقدرتي فارسلوني الى اوبورتو حيث أقاموا حولي نطاقاً من الحرس يتعذر على اي اسير بشري ان ينحو منهُ . وفي العاشر من شهر أوغسطس اخذوني في مركب نقل الى انكلترا وقبل نهاية الشهر أوصلوني الى تلك البلاد وزجوني في السجن الذي بنوهُ لنا في دارتمور والذي كنا نسميهِ الفندق الفرنسوي لانهُ لم يضم الا أبطالاً رفضوا تسليم سلاحهم وادآء قَسَم التسليم واكثرهم من رجال البحرية .

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

ولعلكم تتعجبون من عدم اعطائي ذلك القسم والتمتع بالحرية التي تمتع بها غيري من الاسرى غير انهُ كان لذلك سببان اولهما انني كنت واثقاً بمقدرتي فأملت ان افوز بالنجاة والثاني ان اسرتي مع كونها عريقة في النسب لم تكن غنية فلم اشأ ان اكون ثقلاً على والدتي . وفضلاً عن ذلك فانهُ كان يعزُّ عليَّ ان ارى جمال شبابي ضائعاً بين جمعيات فلاحي بريطانيا وان أُحرَم محبة ومغازلة السيدات اللواتي كنت اجذبهنَّ الى حبي ولذلك فضلت ان ادفن نفسي موقتاً في سجن دارتمور وسأخبركم كيف خلصت منهُ

اما السجن فيمكن كتابة مجلدات في وصفهِ وليس ذلك من غرضي الآن . وكان مبنيًّا في وسط بقعة قفرة وفيهِ ما بين سبعة وثمانية آلاف جندي يحرسونهُ بأتم السلاح وكان لهُ سوران وخندق وحولهُ الخفرآء والجنود. ومع ذلك فلم يمنع انتباههم هرب بعض جنودنا افراداً وازواجاً وكنا نسمع اطلاق المدفع المؤذن بذلك فنضحك في غرفنا ونصيح باعلى اصواتنا ليحيَ الامبراطور حتى يسمع رفاقنا على الشاطئ الفرنسوي . وكنت من حين وطت قدمي ارض ذلك السجن قد بدأت ادبر طريقة للخروج منهُ ولم يكن ذلك بعظيم على مهارة بطل قضى اثنتي عشرة سنة في الحروب ومقارعة الاهوال . وكانوا قد جعلونا نحن الضباط في جناح منفرد ووضعونا اثنين اثنين في كل غرفة فلم يسرني ذلك لانهُ يخالف ذوقي وكان رفيقي في غرفتي ضابطاً طويل القامة يسمى بومون وهو من رجال المدفعية اسرهُ الانكليز في استورغا وكان جامداً ساكتاً . ولما كنت لا أقابل رجلاً الا اصيرهُ صديقي بمفاكهتي ولطف حديثي حسبما تعرفون فقد جربت جهدي مع هذا الرفيق ولكنهُ لم يتبسم قط ولم يجب بكلمة واحدة بل كان يجلس وقد حدَّق بنظرهِ اليَّ حتى ظننت ان الاسر قد أفقدهُ رشادهُ ووددت لو كان معي بدلاً منهُ احد رجال فرقتي لاخلص من سكوت هذه الجثة المتحركة. ولما لم يكن في اليد حيلة جعلت اتكلم امامهُ عن وسائط النجاة وذاكرتهُ غير مرةٍ في هذا المعنى حتى ظهر لي اخيراً انهُ ابتدأ يشعر نظيري ويهتم بهذا الامر . ثم شرعت في فحص الجدران وارض الغرفة وسقفها فوجدتها في غاية

الثخانة والمتانة وكان الباب من مصراعين حديديين وقد فتحت فيهِ كوَّة صغيرة مشبكة بالحديد يمر امامها الحارس مرتين كل ليلة وينظر منها الى الداخل . اما ما في الغرفة من الاثث فهو كرسيان وسريران وطستان للغسل فقط فلم اهتم لهذه الفاقة بعد ان قضيت اياماً في الحروب بلا فراش ولا غطآء . وظهر لي لاول وهلة ان الفرار مستحيل ولا سيما بعد ان قضيت الليلة تلو الاخرى مفكراً بدون جدوى . وقد خيل لي ان فرقتي كلها بانتظاري وان جيادهم في حالة مزرية بدون القائد جيرار الذي كان يهتمّ بها ويلاطفها فيطير رشدي وأقول لا بدَّ من الفرار وان صاحب الذكآء لا يعدم من واسطة تسهل لديهِ الصعاب

وكان لغرفتنا نافذة واحدة ضيقة لا يكاد يمرّ منها طفل وفي وسطها قضيب حديدي غليظ فظهر لي ان لا أمل لنا الا في تلك النافذة اذا صممنا على الفرار غير أنا لسوء الحظ رأينا بعد البحث انها تفضي الى الدار الخارجية التي تتمرن فيها الجنود . ولكنني لم ايأس بل اخذت قطعة حديدية من سريري وجعلت اعالج بها الحائط المغروز فيهِ القضيب الحديدي فقضيت ثلاث ساعات في العمل ثم سمعت وقع أقدام الحارس فاسرعت الى سريري ونمت الى ان أتم دورتهُ فعدت الى العمل ثلاث ساعات أخرى . وهكذا لبثت مواظباً على ذلك غير متكل على رفيقي بومون لانني وجدتهُ كسلاً بطيء الحركة وكنت أتصور ان رجال الهوسار بطبولهم وأبواقهم ينتظرون ظهوري فيعيرني ذلك قوة جديدة فاعمل بجنون حتى تدمى اصابعي . ولم أزل كذلك عدة ليالٍ وأنا اخفي ما انزعهُ من الحائط ضمن مخدتي حتى شعرت اخيراً ان القضيب الحديدي يتحلخل في مكانهِ فجمعت قواي وجذبتهُ بعنفٍ فخرج من الحائط . وهكذا خطوت اول خطوةٍ الى الحرية لانني للحال اعتبرت القضيب المذكور كمحلٍ أتمكن بهِ من نزع حجرٍ آخر لتوسيع النافذة وكسلاح ادافع بهِ عن نفسي اذا فاجأني طارئ . وفي نهاية ثلاثة اسابيع تمكنت من نزع الحجر واصبحت النافذة كافية لمروري ولا حاجة ان اصف لكم ما أخذني اذ ذاك من السرور استبشاراً بالفوز . ولا تعجبوا من عدم ملاحظة الحرس ذلك لانني كنت في

النهار اردّ كل شيء الى مكانهِ فيعود كانهُ لم يكن • وكان موعد القمر ان يغيب بعد ثلاث ليالٍ فيساعدنا الظلام على مفارقة ذلك السجن المخيف فجعلت افكر في كيف يجب ان نسير متى خرجنا من الغرفة لانني خفت ان يشعر بي احد فأعود ثانيةً الى السجن ويزجوني في مطابق تحت الارض يوضع فيها من يحاول الفرار . وكان السور الاول الذي يجب ان نتسلقهُ من الآجرّ علوهُ اثنتي عشرة قدماً وفي اعلاهُ قضبان حديدية متلازّة • وكان السور الخارجي نظيرهُ وبينهما فسحة تزيد عن عشرين قدماً • وتحققت عدم وجود الخفرآء الا عند الابواب ووجود حلقة من العساكر حول السور الخارجي . هذه كانت حالتي ايها الاصدقآء وليس لي ما يسهلها لديَّ سوى هذا الرأس وهاتين اليدين • وكنت معتمداً على طول قامة رفيقي بومون فخطر لي ان أقف على اكتافهِ فأصل الى أعلى السور ثم آخذ بيدهِ فأجذبهُ اليَّ لان معتقدي ان لا أترك رفيقاً لي في خطر ولو تسهلت لي اسباب النجاة فاني أفضل ان اعود الى الاسر ثانيةً وأنا معهُ من ان أنطلق وحدي وأغادرهُ • اما بومون فلم تظهر عليهِ علامات الاهتمام مما جعلني أعتقد انهُ واثق بقوتهِ • وكنت قد راقبت اطوار الحراس فوجدت ان بعضاً منهم يقفون في حراستهم بأتمّ الانتباه حتى لا يمرّ جرذ على بعد منهم الا يعرفون بهِ وآخرين ينزوون الى جانب الحائط فينامون مسندين رؤوسهم الى بنادقهم كانهم على اسرّتهم • وكان بين هؤلآء واحدٌ راقبتهُ مراراً فوجدتهُ ينام كل مدة حراستهِ وكنت أرميهِ بعض الاحيان بقطع من الحجر أو التراب فلم يكن ينتبه قط ولمزيد الحظ والتوفيق وجدت ان ستكون نوبة حراسة هذا الاخير في الليلة التي عينتها لهربنا . فلما جآء اليوم المعين كان شديداً عليَّ لاني لم أستطع ضبط نفسي من الفرح فكنت أطوف في غرفة سجني قلقاً لا أستقر في مكان حتى خشيت ان يلاحظ سجاني ذلك . أما رفيقي فكان كعادتهِ صامتاً ينظر اليّ تارةً وطوراً الى الارض فاقتربت منهُ وقلت لهُ تشجع يا هذا فانك سترى فرقتك قبل نهاية شهر من الآن . قال حسن ولكن في أي طريق تذهب متى خرجت من هنا • قلت اذهب الى الشاطئ بدون تردد وألتمس هناك

زورقاً يوصلني الى فرنسا . قال أراهُ يوصلك الى مطابق سجن بورتسموث . فلم تعجبني ملاحظتهُ وقلت لهُ على الجندي أن يبذل جهدهُ ويرجو الخير اما السوء فلا يبتّسر بهِ الا الجبان . فصُبغت وجنتاهُ بلون أحمر وكانت هذه المرة الاولى التي بانت عليهِ فيها علامات الشعور . أما انا فاحتقرتهُ وقلت لعلي اضرّ فرقتهُ اذا سعيت باعادتهِ اليها

ولم ارَ في حياتي اطول من ذلك النهار حتى اذا انقضى وهجمت جيوش الظلام هبت زوبعة هائلة وريح شديدة فنظرت من النافذة واذا بظلام حالك لا يظهر فيهِ سوى السواد المدلهمّ . وكان الريح والمطر يمنعاني من سماع وقع اقدام الحرس فما صدّقت ان مرَّ بنا السجان كعادتهِ حتى عمدت الى النافذة فنزعت الحجر والقضيب الحديدي واشرت الى رفيقي ان يخرج فابى قائلاً انهُ يفضل ان يخرج بعدي . ولما كان الوقت لا يسمح لنا باضاعتهِ في المجاملات جذبت نفسي الى النافذة وابتدأت اخرج منها كما تخرج الحية من جحرها فما خرج نصفي حتى شعرت برفيقي قابضاً على ساقيَّ من ورآء بيد من حديد وجعل ينادي باعلى صوتهِ المعونة ! المعونة ! اليَّ ! اليَّ ! ان سجيناً يحاول الفرار

وكيف اصف لكم ما شعرت بهِ حينئذٍ وقد علمت ان ذلك الخائن انما فعل ذلك راجياً ان يعفو عنهُ الانكليز لانهُ ارشدهم الى فراري فيذهب الى مكانهِ آمناً وقد اشترى حريتهُ بدمي . وكنت من اول وهلة لم تعجبني هيئتهُ غير انني لم اظنهُ في هذه الدرجة من الخيانة والدناءة لان الانسان الذي قضى حياتهُ مثلي بين علية القوم واشراف الناس لا يمكنهُ ان يظن السوء باحد . اما هو فلم يعلم انهُ جلب على نفسهِ خطراً اشد مما يستطيع ان يتصور لانني انسللت راجعاً من النافذة وباسرع من لمح البصر قبضت على عنقهِ باليد الواحدة وضربتهُ بالاخرى بالقضيب الحديدي على رأسهِ ضربتين فقط . فلما سقطت عليهِ الضربة الاولى خرج من فيهِ صوت اشبه بصوت الكلب الصغير اذا دست على مخالبهِ وعند الثانية سقط الى الارض بأنَّةٍ عميقة . اما انا فجلست على سريري منتظراً ما يكون ورآء ذلك فمرت الدقيقة

الاولى والثانية والثالثة ولم اسمع شيئاً سوى غطيط ذلك اللعين المطروح على الارض وعلمت ان العاصفة منعت من وصول صياحهِ ولم ينتبه احد الى ما جرى . فارتاحت نفسي ومسحت العرق البارد الذي كان يكلل جبهتي وجعلت افكر في ما يجب ان افعلهُ حينئذٍ وترآءى لي ان اول وأهمّ عمل ينبغي ان اقوم بهِ هو الاجهاز على ذلك الخائن مخافة ان يعود الى رشادهِ قبل ان ابتعد وينبههم الى ادراكي . ولما كنت لا استطيع ان اوقد نوراً جثوت على ركبتيَّ وجعلت اتلمس حتى عثرت على رأسهِ فرفعت القضيب الحديدي وجمعت قوتي لاجهز عليهِ بضربةٍ واحدة ولكن . . . شعرت باحساس غريب استوقفني لانني وان اكن قد قتلت كثيرين في المعارك الحربية لم يطاوعني قلبي على قتل هذا اللئيم وهو بين يديَّ لا يبدي حراكاً ولا يدافع عن نفسهِ . فاخذت ملآءة سريرهِ ومزقت قطعةً منها ووضعتها في فيهِ لامنعهُ عن الكلام ثم شددتهُ بالباقي لامنعهُ من الحركة وتحققت اذ ذاك انهُ لن يؤذيني بعدُ حين يأتي الحرس في الدورة الثانية . وكنت كما اسلفت معتمداً على طولهِ في تسلق السور اما الآن فلم يبقَ اعتمادي الا على نفسي فاخذت ملآءة سريري وصنعت منها حبلاً ربطت طرفهُ الواحد في منتصف القضيب الحديدي وانسللت من النافذة الى الدار الخارجية بتمام الاحتراس والسكون . ولما بلغت السور رميت بالقضيب الحديدي الى اعلاهُ فعلق من المرة الاولى بالقضبان المغروزة فيهِ فسررت جدًّا وتسلقت بمعونة الحبل الى اعلى السور ثم جذبتهُ اليَّ ودليتهُ الى الجانب الآخر وهممت بالنزول فلمع امامي شيء عرفتهُ للحال انهُ حربة بندقية الخفير . فارتعشت لحظةً وحدّثتني نفسي ان اضربهُ على رأسهِ واميتهُ قبل ان يعلم بي ولكنني ما عتمت ان سمعتهُ يلعن الوحدة والبرد ثم رفع بندقيتهُ على كتفهِ وسار الى حدود حراستهِ . فاغتنمت تلك الفرصة وتدليت الى الارض ثم اسرعت الى السور الآخر ففعلت كذلك وما ادركت رجلايَ خارج السور حتى جعلت اجري في ذلك القفر كالنعام الجافل تارةً اسقط في الحفر وطوراً اقع بين الشوك والعلّيق حتى تمزقت ثيابي وسال الدم من يديَّ ووجهي . ولما كان اكثر الفارّين يتوجهون توًّا الى الشاطئ فيتبعونهم ويلقون عليهم القبض

وكنت قد قلت لرفيقي اننا نتوجه الى الشاطئ رأيت من الحكمة اذ ذاك ان اغير الخطة فجعلت وجهتي شمالاً الى الداخلية . ولما تلاشت قواي من شدة الجري رأيت امامي نورين صغيرين متقاربين عرفت انهما مصباحا عربة واقفة في الطريق العمومية . فوقفت لا ادري ماذا افعل وقد خشيت ان ينمّ ثوبي العسكري عليَّ فانبطحت على الارض وجعلت ازحف حتى اقتربت من المركبة فوجدت ان احدى عجلاتها مكسورة والسائق فتىً واقف بجانب الجياد وفي المركبة فتاةٌ لم أرَ اجمل منها . ثم سمعتها تقول للسائق بصوت حزين ما العمل يا هذا واني لاخشى ان يكون السير شارلس قد تاه في الظلام فهل نصرف ليلتنا هنا . فلم اتمالك ان انتصبت للحال امامها وقلت هل يمكنني ان اخدمكِ بشيء يا مولاتي وكان جمالها الرائع وما علمت من تضايقها قد انساني ما انا فيهِ وحركا فيَّ دم المروءة والشهامة . فلما وقع نظرها على ثيابي الممزقة ووجهي الدامي خافت فصرخت ووقف السائق مبهوتاً ولكنها ما عتمت ان رأت من كيفية وقوفي امامها وانحنآئي لديها انني لست من الرعاع فملكت روعها وقالت بعد ان شكرتني لما عرضتهُ اننا آتون من تاقستوك وقد انكسرت عجلة المركبة هنا فذهب زوجي ليحضر مركبة اخرى ولم يعد واخاف ان يكون قد تاه عن الطريق في هذا الظلام. وقبل ان اجيبها رأيت بجانبها ردآءً كبيراً فوضعت يدي عليهِ وقلت اظن يا مولاتي ان هذا الردآء يخص زوجكِ ولا اشك في انكِ تعذريني اذا كنت مضطرًّا ان . . . واكملت كلامي بسحب الردآء من العربة الى يدي . فنظرت اليَّ بتعجب وخوف وقالت ظننتك اتيت لمساعدتي لا لسرقتي وقد دلت هيئتك على رجل شريف لا على لص دنيء . فقلت وقد صعد الدم الى وجهي لا تحكمي عليَّ يامولاتي قبل ان تعرفي ما يضطرني الى فعل ذلك ولكنني اعدكِ اذا اعلمتِني باسم هذا السعيد الحاصل عليكِ انني اردّهُ اليهِ سالماً بعد ان اقضي حاجتي منهُ . فتبسمت قليلاً وقالت اما زوجي فهو السير شارلس مرديث وهو ذاهب الى سجن دارتمور بمهمة من قبل الحكومة فارجو منك ان تذهب في طريقك وان لا تأخذ شيئاً مما يخصهُ . قلت انني لا اشتهي مما يخصهُ الا شيئاً واحد وهو انتِ .

فضحكت حتى بانت نواجذها وقالت خلِّ عنك المزاح واترك الردآء في مكانهِ. وقبل ان اجيبها سمعت اصواتاً عن بعد تتخلل صوت المطر والريح ثم لمع امامي نور مصباح فعلمت ان زوجها قد عاد مع بعض الرجال ليساعدوهُ في جرّ المركبة . فقلت لها اعذريني يا سيدتي فاني مضطر ان اتركك الآن ولكن اكدّي لزوجكِ انني اعيد اليهِ ردآءهُ في اول فرصة . ومع انني كنت في سرعة شديدة اخذت يدها لاقبلها فجذبتها مني بعنف ووثبتُ وثبةً واحدة فاختفيت في الظلام وجعلت اعدو بمنتهى قوتي الباقية حاملاً الردآء وقد رأيت فيهِ وسيلة لنجاتي . وكنت عند خروجي من السجن قد توجهت شمالاً مستدلاً بهبوب الريح فلما بعدت عن المركبة وقفت ريثما تبينت جهة مهبّها فاستقبلتهُ واستأنفت الجرى حتى سقطت منهوك القوى وبقيت الى ان ملكت شيئاً من قوتي ثم عدت الى الجري وانا مصمم على الابتعاد ما امكن عن السجن قبل بزوغ الصباح . وبلغت مكاناً محاطاً بالعوسج تربتهُ ليّنة حبب اليَّ الاستراحة فجلست لاستريح وما كدت اجلس قليلاً حتى استولى عليَّ سلطان النوم فنمت لكن نوماً مزعجاً ذا احلام هائلة رأيت في آخرها انني عدت الى فرقتي فسرّوا بنجاتي ولما قصصت عليهم حديثي هتفوا جميعاً بصوت واحد ليحيَ الامبراطور . فأفقت مرعوباً ونظرت الى ما حولي فسمعت حقيقةً ذلك الصوت ليحيَ الامبراطور مندفعاً من اكثر من خمسة آلاف فم فكدت افقد عقلي لدى سماعي ذلك الهتاف وانا في تمام اليقظة . ولبثت متحيراً في سبب ذلك الى ان لاح الفجر فرأيت امامي بناية كبيرة جدًّا عرفتها للحال انها سجن دارتمور . وذلك انني لما تركت المركبة وجعلت اعدو مستقبلاً الريح وكان قد تغير مهبها كانت النتيجة انني سرت راجعاً الى حيث بدأت بالهرب ووجدت نفسي في المكان الذي قضيت كل تلك المشاق للابتعاد عنهُ وعلمت ان ذلك الصوت الذي سمعتهُ كان صوت الاسرى المسجونين فيهِ. وكانت المصائب التي مرّت عليَّ قد علمتني ان لا استسلم الى اليأس فتبسمت لعودتي الى قرب السجن وقلت لعلّ في ذلك حكمة اجهلها بل تحققت ان قرب السجن هو المحل الوحيد الذي لا يبحث عني الحراس

فيهِ. فالتففت بالردآء وجلست بين العوسج واخذت من جيبي بعض الخبز الذي كنت قد وفّرتهُ من طعامي في اليومين السابقين وبحثت في جيوب الردآء فوجدت فيها زجاجة فيها من افخر الكنياك ومنديلاً حريريًّا وعلبة سعوط ورسالة في ظرف ازرق اللون مكتوب عليهِ اسم حاكم سجن دارتمور فعزمت ان اشرب الكنياك وان ارجع الزجاجة والمنديل والعلبة الى صاحبها . اما الرسالة فحرت في امرها لان حاكم السجن كان يظهر لي شديد اللطف فلم اشأ ان اتداخل في مراسلاتهِ وخطر لي ان ارمي بها الى حديقة السجن ولكن خفت ان يدلهم ذلك على محل وجودي فارجعتها الى جيبي . واقمت نهاري مختفياً بين العوسج ونمت نوماً طويلاً لاتمكن من المسير في الليلة التالية . فلما اقبل المسآء نهضت وسرت مهتدياً بالنجوم حتى ابتعدت نحو ثماني غلوات عن السجن . وكنت افكر في كيفية الحصول على ثوب اتنكر بهِ لانني رأيت ان الردآء لا يفيدني ما دام ثوبي العسكري ظاهراً من تحتهِ . ولما لاح فجر اليوم الثاني رأيت نهراً عن يميني وقريةً صغيرة عن يساري فتركتهما وتقدمت شمالاً حتى بلغت عند منتصف النهار الى وادٍ بين جبلين فيهِ كوخ منفرد لا يجاورهُ شيءٌ من البنآء . وعنّ لي ان اجد فيهِ مطلوبي فجعلت اقترب اليهِ باحتراس تارةً اختفي ورآء الاعشاب وطوراً ازحف على بطني الى ان صرت على مقربةٍ منهُ واذا بفتىً قد خرج وورآءهُ رجل متقدم في السن يحمل قطعتين من الخشب دفعهما الى الفتى فجعل هذا يديرهما في يديهِ بخفةٍ غريبة والرجل يلاحظهُ ويفهمهُ كيف يفعل ثم اعطاهُ حبلاً فجعل يديرهُ ويثب فوقهُ فتعجبت من ذلك واعتقدت ان الفتى عليل والرجل طبيب يمرنهُ على بعض الحركات الرياضية . وبعد هنيهةٍ دفع الرجل الى الفتى ردآءً ثقيلاً فلبسهُ ولاح لي ان الامر قد انتهى ثم رأيت الرجل قد عاد الى الكوخ واما الفتى فجعل يعدو بمنتهى قوتهِ وكان مسيرهُ الى الناحية التي كنت فيها فسرّني ذلك جدًّا وتأهبت لملاقاتهِ واخذ ثيابهِ وادراك الغاية التي اسعى اليها . ولم يزل الفتى يقترب عدواً والعرق يتحلب من جسمهِ حتى صار امامي فوقفت وقلت لهُ اسمح لي يا سيدي ان اطلب منك هذه الثياب التي عليك لاني في حاجة اليها.

فنظر اليَّ بدهشةٍ وقال اعطيك ثيابي؟ ولماذا . ألأنك فرنسوي هارب من السجن وتريد ان تتنكر بها . ولكنك لا تعرفني فانا المصارع الشهير الذي تراهن مدينة بربستول على مقدرتي وهذا الكوخ هو المحل الذي اتمرن فيهِ وهذه يدي ارفعك بها واجلد بك الارض فاراك ميتاً قبل ان اعطيك ثيابي . اما انا فنظرت اليهِ بتبسم الازدرآء وقلت قد تكون كما تقول ولكنك لو عرفت ان الذي يطلب ثيابك هو الكولونيل جيرار لما تأخرت دقيقة واحدة عن تسليمها صاغراً . ولما قلت ذلك اقتربت منهُ بغيظ وقلت انزع ثيابك في الحال . فكان جوابهُ ان نزع الردآء الثقيل ووقف امامي بعظمة وقد هيأ ذراعهُ اليسرى للدفاع واليمنى للهجوم كما هي عادة الانكليز في الملاكمة . ولما كنت لا اعرف شيئاً من طريقة هذه المبارزة ولم اشأ ان اظهر امامهُ جهلي صممت ان ابغتهُ وللحال هجمت عليهِ ووثبت في الهوآء ورفستهُ بقدميّ معاً بقوة شديدة وفي اقل من لمح البصر ضربني بقبضتهِ على رأسي فسقطت الى الارض كأن كرة مدفع اصابتني فلمعت امام عينيَّ شهب الالم اكثر مما رأيت في معركة اوسترليتز وغبت عن الوجود

ولما أفقت وجدت نفسي في الكوخ على سرير من الهشيم وشعرت بورم في رأسي وقد وضعوا عليهِ خرقةً مبلولةً بالخل ورأيت في الجانب الاخر خصمي جالساً وقد عرّى ركبتهُ والرجل جاثٍ امامهُ يدلكها بسائلٍ وهو ينتهر الفتى ويؤنبهُ وسمعتهُ يقول لهُ انني منذ شهر امرّنك وقد أخذت على نفسي عهدة ترشيحك للمصارعة القادمة التي قرب موعدها فتدفع بنفسك الى مثل ما فعلت لتضيع ما تعبنا شهراً في الاستعداد لهُ مع اضاعة الوف من الليرات على المراهنين فانهُ انِ لم تشفَ ركبتك قبل يوم الاربعآء القادم فقدنا كل شيء . فقال الفتى هل نسيت يا استاذ انني بطل تسع عشرة مبارزة والوحيد في قدرتي وهل تظن انني احتمل مثل هذا الفرنسوي وطلبهُ مني ثيابي . فقال الرجل كان يمكنك ان تستعين بالخفر الذين لا يبعدون عنا كثيراً ولا تعرّض نفسك لمشاجرتهِ بل ما هي قيمة ثيابك لو أعطيتهُ اياها بازآء خمسة آلاف الليرة التي راهن عليك بها اللورد رفتون . نعم انك أول مصارع ولكن هل تظن

ان الفرنسويين يفهمون ذلك أو يعرفون كيف يحاربون • وعند سماعي ذلك لم أملك السكوت فجلست على سريري وقلت لهما يا صاحبيَّ لو كان الفرنسويون لا يعرفون كيف يحاربون لما ربطوا جيادهم في اكثر عواصم اوربا وأصبحوا امام لندن التي سيدخلونها قريباً ان شآء الله ولكننا نحن نحارب كالفرسان ولا نحارب مثلكم كمناطحة الثيران • فنظر اليَّ الرجل باشمئزاز وقال اهنئك يا هذا انك لا تزال حيًّا ولكن يظهر ان جمجمتك غريبة الشحانة حتى لم تكسرها ضربة اشهر مصارع في بريستول وكنت أود ان يفوَّض اليَّ تدريبك على المصارعة لانني اعتقد انك كنت تكون من أبرع المصارعين غير اني اتأسف انك لا بدَّ ان ترجع الى السجن . فلم يعجبني ما قفَّى بهِ اخيراً وقلت لهُ بل اؤمل انك تدعني امضي في سبيلي . قال يصعب عليَّ اجابة طلبك ولا سيما وقد فُرِض عشرون ليرة لمن يقبض على سجين هارب . ومع ذلك فقد رأيت بالقرب من هذا المكان شرذمة من الفرسان لا شك انهم يسعون في طلبك فان لم أفز بالجائزة انا فازوا هم • فجمد الدم في عروقي ثم قلت لهُ ان كان غرضك من امساكي الحصول على الجائزة فأنا أعدك انني ارسل اليك العشرين ليرة مضاعفة حال بلوغي فرنسا • فانقض الرجل رأسهُ علامة الإبآء ولم تأتِ توسلاتي وتضرعاتي بأقل فائدة • فلما رأيت ذلك خطر لي ان أتهددهما بنفس الشرّ الذي يخافانهِ وللحال وثبت الى احدى القطع الخشبية الثقيلة التي كان يتمرن بها الفتى فأخذتها بيدي وقلت لهُ اذاً لن يصارع تلميذك في الاسبوع القادم فسأمنعهُ بضربة من هذه الخشبة مهما جرى بعد ذلك • ولما سمع الفتى كلامي هاج وحاول مصادمتي فهجم عليهِ الرجل واجلسهُ بالرغم عنهُ قائلاً لا لا • لا اريد ان نخسر الرهان من اجل هذا الوغد الفرنسوي • وكان ذلك ما انتظرهُ فتركتهما يتجادلان وخرجت مسلحاً بالخشبة وانا افكر فيما عسى ان يكون مستقبل امري بعد ما قاسيتهُ من الالم والجوع والتعب واظن انني فعلت غاية ما يمكن الانسان ان يفعلهُ • ولكنني ما بلغت باب الكوخ حتى رايت امامي ستة فرسان وفي طليعتهم حاكم سجن دارتمور نفسهُ فشعرت ان الارض تدور تحت قدميَّ وحاولت النطق

فلم استطع اليهِ سبيلاً • ونظر اليَّ الحاكم فقال ها قد وجدناك يا حضرة الكولونيل بعد البحث الطويل

ولا يخفى ان الشجاع مثلي اذا استفرغ جهدهُ في المقاومة ولم يفز فما عليهِ الا ان يظهر شرف نفسهِ بالطريقة التي يخضع فيها لفوز خصمهِ . فصمتُّ لحظةً ثم تناولت من جيب الردآء الرسالة المعنونة باسم الحاكم وسلمتها اليهِ بكل احترام قائلاً ان سوء حظي اعترض في سبيل ايصال هذه الرسالة اليك • فنظر اليّ معجباً بطريقة كلامي ثم اخذ الرسالة ففض ختمها وتلاها فظهرت على وجههِ علامات التعجب وقال هذه الرسالة على ما اظن هي نفس التي ذكرها لي السير شارلس مرديث وقد قال لي انها فقدت منهُ • قلت نعم يا مولاي فانها كانت في جيب ردآئهِ الذي استعرتهُ موقتاً • قال وقد بقيت معك يومين ولم تطلع على ما فيها • فأظهرت لهُ انني ارفع من ان يظن بي ذلك • اما هو فقهقه ضاحكاً وقال ياحضرة الكولونيل قد اتعبت نفسك وحملتنا من التعب ما كنا جميعاً في غنًى عنهُ فاسمع ما جآء في الرسالة ثم قرا ما يأتي

« عند وصول هذا الامر الى يدكم اطلقوا سراح الكولونيل اتيان جيرار السجين من فرقة الهوسار الثالثة لانهُ قد افتُدي بابدالهِ بالكولونيل ماسون الذي كان مسجوناً في ڤردن في اسر الفرنسويين »

وكان يقرأ و يضحك حتى ضحك الفرسان ايضاً وضحك الفتى والرجل اللذان كانا قد اقتربا ليريا ما الخبر فلم يبقَ عليّ الا ان استند الى الحائط واضحك مثلهم • ولكن شتان بين ضحكي وضحكهم فانهم انما كانوا يضحكون لامرٍ بسيط هو الذي اضحكني ايضاً ولكن بقي هناك ما لم يشعروا بهِ معي وهو انني تصوّرت امام عينيّ حريتي وفرنسا العزيزة ووالدتي المحبوبة والامبراطور ورجال فرقتي واليقين التام بأنني قد نجوت من سجن دارتمور نجاةً لا رجوع اليهِ بعدها